٣٠٤١٤

المورد

مجلة تراثية فصلية . تصدرها وزارة الاعلام - الجمهورية العراقية - المجلد الرابع — العدد الاول ١٣٩٥ — ١٩٧٥

على هامش « كتاب الآداب » لابن شمس الخلافة

بقلم

محمد حسين الأعرجي

في سلسلة (آثار العراق) طبع كتاب الاداب لجعفر بن شمس الخلافة مجد الملك المتوفى سنة ٦٢٢هـ ، في مطبعة السعادة بمصر عام ١٣٤٩-١٩٣٠ « ... عن نسخة الفاضل الحاج احمد الندي بن قاسم آغا الجليلي من اعيان بلدة الموصل بالعراق ... » وقد صححه وضبط الفاظه وفسرها محمد امين الخانجي .

وليس في الكتاب ما يوحي بريبة ، بل ان فيه ما يبعث على الثقة ابتداء بالفهارس ، ومرورا بالهوامش ، وانتهاء ب « تم الكتاب والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، وذلك في عاشر شهر شوال من شهور سنة سبع وسبعين ولمانمائة .... » ، وان فيه من توافع الناشر ما جعله يقتصر على ذكر نسخة واحدة من مخطوطاته هي نسخة الموصل ، على حين انه اعتمد نسختين في نشره كما نوحي بذلك هوامشه على الصفحات : ٦٤ ، ٨٢ ، ١٢٥ (١) !! ومع هذا كان لي ان ارجع مصادفة الى نسخة من نسخ الكتاب المخطوطة ، ناقصة الاخر ، تقع في ٥٧ ورقة كتبت بخط متاخر ، محفوظة في مكتبة آية الله الحكيم العامة في النجف الاشرف تحت رقم ١٧١٧ .

وبدا لي ان القابل المطبوع على المخطوط .... وادهشني ان وجدت المؤلف يقول في مقدمة المخطوط : « .... وصنفته (لي) عشرة ابواب :

الباب الاول من الحكمة في النثر
الباب الثاني في الفصول القصار
الباب الثالث في الحكمة من الشعر
الباب الرابع في مكارم الاخلاق
الباب الخامس في الكرم والصلات
الباب السادس في البلاغة
الباب السابع في العفو والاعتذار
الباب الثامن في الملح والظرف
الباب التاسع في العقل والعقلاء من الاخيار
الباب العاشر في التعازي ، وعنونته كتاب الآداب ... »

اذ كنت قد رجعت الى المطبوع فوجدت في مقدمته : « ... وصنفته في خمسة ابواب :

باب الحكمة من النثر ....
باب الفصول القصار من الحكمة ....
باب الحكمة من الشعر ....
باب ابيات الامثال المفردة ....
باب اعجاز الابيات .... ص ٢-٣ »

ومعنى هذا ان المخطوط يزيد على المطبوع بسبعة ابواب هي :

١ ـ الباب الرابع في مكارم الاخلاق
٢ ـ الباب الخامس في الكرم والصلات
٣ ـ الباب السادس في البلاغة
٤ ـ الباب السابع في العفو والاعتذار
٥ ـ الباب الثامن في الملح والظرف
٦ ـ الباب التاسع في العقل والعقلاء من الاخيار
٧ ـ الباب العاشر في التعازي .

ورحت ابحث في المخطوط عن بابي ابيات الامثال المفردة ، واعجاز الابيات فلم اجدهما ، وعنّ لي ان القابل بين سطر وسطر ، فوجدت ان المطبوع يفترق عن المخطوط لدى الصفحة ١٢١ في قول عبدالله بن محمد بن ابي عيينة :

من انسنه البلاد لم يسرم
منها ومن اوحشته لم يقم
ومن بيت والهموم قادحة
في صدره بالزناد لم يشم

اذ يستمر المطبوع فيورد ابياتا لاحمد بن يوسف ، وابن لنكك ، وابن نباتة السعدي ، وابي تمام ، وابي الحسين الناشيء ، والشريف الرضي ، وابي العلاء الاسدي ، وابي بشر النحوي ، والصاحب بن عباد ، واحمد بن بندار ، وابي العتاهية واخرين .

ثم يبدا « باب ابيات الامثال المفردة » في ص ١٢٧ واولها :

الله انجح ما طلبت به
والبر خير حقيبة الرجل

ويختتمه المؤلف لدى ص ١٤٧ بقول الشاعر :

ان سرا يصان عند زياد
لمضاع كالماء في الغربال

ويعقب هذا الباب ب « باب اعجاز الابيات » لدى ص١٤٨ مفتتحا اياه بقول الشاعر :

اذ الله سنى حل عقد تيسرا

---

(١) ورد في الهامش من ص ٦٤ قوله : « من قريب التصحيف ان هذا المثل وقع في النسختين ... » وفي هامش ص ٨٢ قوله : « هكذا في النسختين » ، وفي هامش ص ١٢٥ قوله : « كذا في الاصل ، وفي النسخة الاخرى : ... »

ويعقد في ص ١٥٧ منه فصلا للمزدوج اوله :

لله اسرار من التدبير
يحار فيه بصر البصير

واخره في ص ١٥٨ :

كم نعيم نعمته غير اني عدمته

اما في المخطوط فياتي بعد قول ابن ابي عيينة « الباب الرابع في مكارم الاخلاق » واوله « قال الله تعالى : ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم . وقال عز وجل يخاطب النبي (ص) : وانك لعلى خلق عظيم . وقال رسول الله (ص) : انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ... » ويسرد المؤلف خلاله فصصا عن الصحابة وبعض الخلفاء ، والامراء تدل على سماحة نفس ، وسعة صدر ، وكرم خلق ، منها قوله : « سرق بعض حاشية جعفر بن سليمان من الخزانة جوهرة نفيسة ، وباعها بمال جزيل ، فانفذ جعفر الى الجوهريين ببغداد والبصرة بصفتها ، وتعريف خبرها ، والكشف عنها ، فقالوا : باعها فلان منذ مدة ببغداد ، فطلب الرجل الذي باعها فامسك وحمل الى جعفر ، فلما راه وجده ممن له به حرمة ، ورأى ما ظهر عليه من تغير اللون فقال له : اراك قد تغير لونك ! السمت يوم كذا طلبت مني هذه الجوهرة فوهبتها لك ، واقسم بالله لقد نسيت ، فقال : بلى ايها الامير ، ثم امر للجوهري بثمنها ، وقال للرجل : خذها الان وبعها حلالا بالثمن الذي تطيب به نفسك لا بيع خانف ، وامر بعدم التعرض اليه ... ٢٢ و » فينتهي الباب بالورقة ٢٦ و ليبدا « الباب الخامس في الكرم والصلات » واوله : « قال الله تعالى : لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون .... وقال (ص) لقوم من العرب : من سيدكم ؟ فقالوا: جرير بن قيس على بخل فيه ، فقال (ص) : واي داء ادوى من البخل ؟ ... » ويستطرد المؤلف خلال هذا الباب فيذكر بعض اخبار العافين مع اجواد العرب ، وبعض اخبار الشعراء مع الامراء وشيئا من اشعارهم ، ومن هؤلاء الشعراء الذين ذكروا : ابو العميثل ، والعتبي ، وذو الرمة ، وابو الشبل البرجمي ، والعكوك ، وبشار بن برد ، وابراهيم بن هرمة ، وابن قيس الرقيات ، والغنابي ، واسحاق بن ابراهيم الموصلي ، وابو القاسم الزعفراني ، وآخرون . ويختتم هذا الباب في الورقة ٣١و بقوله : « كان طلحة بن عبدالله بن طاهر ينادم احمد بن ابي خالد الاحول ، فبلغه ان له عائلة وعليه دين ، فوجه اليه احمد بالف الف درهم ، فحلف طلحة : لا اقبلها ، ثم ردها ، فبلغ ابراهيم بن المهدي ذلك ، فقال : لله در احمد متبرعا ولله در الطاهري متنزها » ويلي هذا الباب الباب السادس ، وهو في البلاغة ، واوله ، « قيل لليوناني : ما البلاغة ؟ فقال : تصحيح الاقسام ، واختيار الكلام ، وقيل للعربي : ما البلاغة ؟ فقال : حسن الاقتصاد عند البديهة ، والغزارة يوم الاطالة . وقيل للفارسي : ما البلاغة ، قال : معرفة الفصل من الوصل ..... » وفيه بعض اخبار الفصحاء كعبد الحميد الكاتب ، والعجاج ، وخالد بن صفوان ، والاحنف بن قيس ، وغيرهم ، ونوادر عن فصاحة بعض الاعراب ، وفي خلال هذا اخبار عن خلفاء وولاة الامويين والعباسيين ، وهو موزع على فصول : فصل في بلاغة النساء ، وفيه شيء من اخبار الخنساء وكلامها ، وعريب جارية المامون ، وام الهيثم السدوسية . وفصل في الوافدات ، وفيه خبر وفود سودة بنت عمارة الهمدانية على معاوية بن ابي سفيان ، ووفود بكارة الهلالية على معاويةايضا، والزرقاء بنت عدي الهمدانية عليه ، وام سنان بنت خثيمة المذحجية عليه ، وعكرشة بنت الاطرش عليه ، ودارمة الحجونية عليه ، وام البراء بنت صفوان عليه ، والذكوانية عليه ايضا . وفصل في البلاغة في النكاح ، وفيه يتعرض الى خطب النكاح ، آخره قوله : « وكان خالد القشيري لا يزال يستحسن هذه الخطبة ويذكرها وهي : ذكرتم امرا جميلا حسنا وعدالله فيه الفتى والسعة فالاخلاف لوعدالله ، ولا راد لقضائه ، انا اذا اراد الله جماعة فلا فرقة ، واذا اراد فرقة فلا جماعة،ارضيت كذا وكذا ؟ فاذا قال : نعم ، قال : انكحت » وبتمام هذا الفصل يتم الباب السادس بالورقة ٤٤ و ، فيليه الباب السابع في العفو والاعتذار ، واوله : « قال الله عز وجل : وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله لغفور رحيم ... وقال رسول الله (ص) : من كظم غيظه ، ولم يقدر على انفاذه ، ملا الله قلبه ايمانا ... وقال علي (ع) : اذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرا لقدرتك عليه ... » ويورد بعد هذا اقوالا في العفو لعمر بن الخطاب ، وعائشة ، والحسن البصري، وعمرو بن العاص ، ثم اخبارا تتعلق بالاقتدار والعفو عن الحجاج ، والمامون ، ومصعب بن الزبير ، والسفاح ، والمعتصم ، .... ويختتم الباب بالورقة ٥٠ ظ بقوله : « شهد اعرابي عند معاوية بن ابي سفيان بشيء يكرهه ، فقال له معاوية : كذبت ، فقال له الاعرابي : الكاذب والله متزمل في ثيابك ، فتبسم معاوية فقال : واحدةبواحدة والبادي اظلم» ويلي هذا الباب ، الباب الثامن في الملح والظرف ، واوله : « قال امير المؤمنين (ع) : القلوب تمل كما تمل الابدان ، فابتغوا لها طرائف الحكمة .... وعن الاصمعي قال : قال لي صالح بن عمران الطلحي : اني لاشتهي هذه الملح افتاتها كما يفتات الرجل الطعام الطيب ، وكان الاصمعي يقول : بالعلم وصلنا ، وبالملح نلنا .... » ويورد بعد هذا اخبارا منها خبر ابي عثمان المازني مع الخليفة الواثق ورأيه في نصب « رجلا » في قول الشاعر :

أظلوم ان مصابكم رجلا
اهدى السلام اليكم ظلم

يلي هذا فصل في الصمت والحث عليه ، يورد فيه اخبارا عن الجاحظ ، والمامون ، وابي مسلم الخراساني ، ومحمد بن الحنفية ، والمنصور ، وخالد البرمكي ، والابرش الكلبي ، وتوبة بن الحمير ، وغيرهم . ومن خلال هذه الاخبار يبدو فصل الصمت وكانه في الاجوبة المسكتة ، ثم يلي ذلك فصل في خرافات العرب ، يليه ما يرويه من ان الامام الشافعي صحف في سبعة مواضع من القرآن ليعود بعد ذلك الى الاجوبة المسكتة ، فيختمه لدى الورقة ٥٤ ظ بقوله : « ... كان الرشيد جالسا بين جاريتين من جواره (كذا) فقال لهما : من نبيت عندي منكما ؟ قالت احداهما : انا ، وقالتالاخرى : انا . فقال للاولى : ما حجتك فيما ادعيت ؟ قالت : قول الله عز وجل ياامير المؤمنين : والسابقون السابقون ، اولئك هم المقربون . ثم قال للثانية : ما حجتك انت ؟ قالت : قول الله عز وجل : وللاخرة خير لك من الاولى ..... » واذ بتم هذا الباب يبدو وكانه جاء على غير منهج ، والا فلا علاقة لخرافات العرب فيه ، ولا لتصحيفات الشافعي .

اما الباب التاسع ففي العقل والعقلاء من الاخبار ، ويبدا بقصة اياس بن معاوية حين أمر عمر بن عبدالعزيز بتوليته القضاء ، ثم يستطرد المؤلف فيذكر اخبارا عن سيف الدولة

الحمداني ، وعمرو بن هبيرة ، والخليل بن احمد الفراهيدي، وعمر بن عبدالعزيز ، ونصيب بن رباح .... ويعقبهذا بفصل في ذم السعاية واخر فيما وقع الفاقا من احداث واخبار .

وقبل ان ينتهي الباب التاسع يبدا النقص في المخطوطة فلا نعرف معه شيئا عن الباب العاشر .

واذ تكون مخطوطتنا قد وقفت عند الباب التاسع كما ذكرنا ـ ويكون المطبوع قد زاد عليها ببابين هما : باب ابيات الامثال المفردة ، وباب اعجاز الابيات ، يكون معنى هذا ان الكتاب قد احتوى احد عشر بابا لا عشرة كما جاء في مقدمة المخطوطة . وعلى ان ليس بين ايدينا من الكتب التي ذكرت كتاب الاداب ومؤلفه نص يصف الكتاب الا اننا نستبعد انيكون الامر كذلك فمن المعقول ان يكون هذان البابان ـ اعني الامثال المفردة ، واعجاز الابيات ـ فصلين من الباب الثالث ، باب الحكمة من الشعر ، فهما اقرب اليه في طبيعتهما من الابواب الاخرى . وعلى هذا يكون الناسخ قد حذف هذين الفصلين من نسختنا لنقص في الاصل الذي نقل عنه او لجهل فيه .

ومهما يكن من امر فالمسالة تبقى قيد الترجيحات ، نتنظر ان نطلع على نسخ من هذا الكتاب تكشف لنا ان كان الخانجي قد تلاعب فيه او كان قد جازت عليه لعب النساخ ، على ان في اختيار الابواب المحذوفة واحدانها ما يجعلني اميل الى اتهام الخانجي قبل غيره ، والا فمن المستبعد ان تكون النسختان اللتان اعتمدهما في النشر قد اتفقتا على ذكر خمسة ابواب نظن انها ملفقة في الاصل عن ثلاثة ، وبعبارة اخرى ان تكونا قد احتوتا على عشرين ورقة من اصل ما يقرب من ستين.

وازاء هذا فاننا لنرجو ان نطلع على هذه النسخ ـ في فرصة قريبة ـ فتحل لنا هذا اللغز ، والا فحسبنا ان نكون قد نبهنا الباحثين اليه .